الجبل الصغير *

« مقاطع من قصة لم تتم »

الياس خوري

يسمونه الجبل الصغير ، وكنا نسميه الجبل الصغير . نحمل الحصى ، نرسم الوجوه ، نبحث عن بركة ماء نغتسل بها من الرمل ، او نملؤها رملا ونبكي . نركض بين حقوله او ما يشبه الحقول ، نأخذ سلحفاة بين ايدينا ، ونمضي بها الى حيث أوراق الشجر الخضراء تغطي الارض . نخترع اشياء نقولها او لا نقولها . يسمونه الجبل الصغير ، كنا نعرف انه ليس جبلا ، وكنا نسميه الجبل الصغير .

تلة واحدة او مجموعة تلال . لم اعد اذكر ، ولم يعد احد يذكر . تلة على الطرف الشرقي لبيروت سميناها جبلا ، لان الجبال كانت بعيدة . جلسنا على منحدراتها وسرقنا البحر . الشمس تطلع من الشرق ، ونحن نخرج من حقول القمح في الشرق . نقطف السنابل حبة حبة لنلهو بها . كان الفقراء او ما يشبه الفقراء يركضون اطفالا بين حقول التلال ليسألوا اشياء الطبيعة عن اشيائهم . هذا الذي نسميه عيدا كان يوما ككل الايام ، لكنه يختلط برائحة البرغل والعرق ، نأكلها بين اشياء الطبيعة لنخبرها عن اشيائنا التي بقيت في الذاكرة حلما . كان الجبل الصغير مجرد حافة نخترقها في تعجب وكبرياء . ننسج القصص عن احزاننا وننتظر لحظات الفرح او الموت ، لنلهو بعواطفنا عن رتابة الايام .

يسمونه الجبل الصغير ، وكان يمتطي الحقول الواسعة الى شجيرات الصبير المنتشرة في انحائه . كانت النخلة التي امام بيتنا تنحني من ثقل جذعها الى اليسار . او كنا نخاف ان تلامس الارض او ترتطم بها فاقترحنا ربطها بحبل من حرير وشدها الى نافذة بيتنا . لكن المنزل كان يتهاوى بحجره الرملي السميك ، وسقفه الخشبي . فخفنا ان تسقط النخلة بالبيت حين تسقط . تركناها تنحني يوما بعد يوم . وفي كل يوم امسكها من جذعها المتشقق وارسم عليها صورتي .

كنا نخاف على الجبل وعلى نباتاته . وكان يتقدم الى حافة بيروت ويسقط فيها . وشجيرات الصبير التي تجرح ارجلنا ، تموت ، والنخلة تنحني والجبل يتقدم الى حافته .

★ الجبل الصغير ، هو الاسم الشعبي الذي كان يطلق على حي الأشرفية في بيروت .